

(فَإِنِّي قَرِيبٌ)
هدايات وحكايات
أمل بنت إبراهيم النشوان
معلمة قرآن
مدربة معتمدة ومستشارة أسرية

(فإني قريب)

هدايات وحكايات

أمل بنت إبراهيم النشوان
معلمة قرآن
مدربة معتمدة ومستشارة أسرية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النشوان ، امل بنت إبراهيم بن محمد

فإني قريب : هدايات وحكايات. / امل بنت إبراهيم بن محمد

النشوان .- الرياض ، ١٤٤٢هـ ٩١

٩١ ص ؛ - سم. – (-)

ردمك: ٥-٨٤٠٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الادعية و الاذكار ٢- الدعاء أ.العنوان ب.السلسلة

ديوي ٢١٢،٩٣ ١٤٤٢/١١٤٦١

رقم الإيداع: ١١٤٦١/١٤٤٢

ردمك: ٥-٨٤٠٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد ،،

فقد اطلعت على الرسالة الموسومة ب (فإني قريب .. هدايات وحكايات) للكاتبة أمل بنت إبراهيم النشوان وفقها الله .. وألفيتها رسالة مباركة ، فيها فوائد علمية ، وآداب جمة في مسألة هامة ..

وقد تميزت بذكر مواقف عملية يمكن أن يستخلص منها مايفيد في بابه .

فأسأل الله تعالى أن ينفع بها ، وأن يجزي الكاتبة على ما سطرت خيرًا وأن يثيبها عليه.

واستجابة لطلبها فقد كتبت هذا التقريظ ..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه الأستاذ الدكتور :

فالح بن محمد الصغير

إهداء

إلى كل من رفع أكفه إلى الله تعالى..

إلى كل من مضت عليه السنون وهو يدعو ولم ييأس..

إلى كل من يدعو بيقين ورجاء وحسن ظن..

إلى من عصفت به الهموم وأيقن أنه لا كاشف لها إلا الله..

إلى من طال به زمن المرض وأيقن أن لا شافي إلا الله..

إلى من دعا ولم يرَ أنه يُستجب له فكاد اليأس يغلب حاله..

إلى من له الحاجات ولا يسأل ربه..

ومضة

﴿وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ سورة البقرة (١٨٦)

كلمات رقراقة..عبارة تأخذ باللب..وتتصل بالقلب..

تُشعِرك بعلو الله تعالى وعظمته مع قربه منك عز وجل..

تسكب في قلبك أمان العطاء والهبات.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه تسليمًا كثيرًا .. أما بعد ،،

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ سورة البقرة-١٨٦

آية عظيمة..آية منذ أن نقرأها نشعر بالقرب..تبعث الأُنس..تعطي شعور روحانية عجيبًا.. شعورَ عبادة عجيبًا بين العبد و ربه..تمنحه اطمئنانًا وسكينة.

تأملت في تلك الآية وجال بخاطري حديث حولها وتأملاتٌ في ألفاظها ومعانيها، ومرَّ بذاكرتي قصص ومواقف كثيرة تقرَّبَ العباد فيها إلى ربهم بالدعاء واستجيب لهم بل أعطاهم الله خيرًا وأكثر مما سألوه.

فأعلنت أني سأقدمها محاضرة وطلبتُ من الأخوات إمدادي بمواقف وقصص لهم حول هذا الشأن، واشترطت أن تكون المواقفُ قد عايشوها – تأكيدًا لمصداقيتها .. فجزاهم الله وأثابهم خيرًا .

وقدمت المحاضرة واستشهدت بتلك المواقف والقصص، وكان لها أثر طيب، فطُرح علي فكرة تقديمها مكتوبة أثبتَ وأبقى وأعمَّ نفعًا.

ليس مرادي من ذكر القصص أن أُثبت صدق وعد الله، فليس عندي أدنى شك في صدق وعده في إجابة الدعاء، ولكنّ ذِكري لها كان من باب الاستئناس بها فقط.

فاستخرت ربي وشرعت فيه، ومنّ الله علي بخروجه بهذه الصورة بتوفيق منه وحده.

أسأل الله أن يجعل فيه النفع والقبول، وأن يداوي به أرواح المصابين، ويُطمئنَ قلوب المكلومين، ويشفي صدور المظلومين.

كما أشكر كل من مدّ لي يد العون والمساعدة بفكرة أو فائدة أو توجيه .

وكذلك من ساهم في طباعة الكتاب بقليل أو كثير ؛ فالله يهبهم الخُلف المبارك .

كما أشكر فضيلة الشيخ الدكتور فالح الصغير على اقتطاعه من وقته لتقريظ هذا الكتاب .

والله أسأل أن يتولى بفضله جزاء الجميع وثوابهم الثواب الحسن .

إنه على كل شيء قدير ..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ،،

أمل بنت إبراهيم النشوان

am.alnashwan٢@gmail.com

الدعاء نعمة عظيمة يجود علينا المولى عز وجل, نعمة يمتن بها على العباد, ويأمرنا بالدعاء, ويعدنا بالإجابة.

الدعاء شأنه عظيم, ونفعه عميم, ومكانته عاليةٌ في الدين, وما استُجلِبت النعم بمثله, وما استُدفِعت النقم بمثله.

وذلك أن الدعاء يتضمن توحيد الله وإفراده بالعبادة; فحينما نتوجه إلى الله بالدعاء فقد أفردناه بالعبادة, أيقنّا أنه لا أحد يستجيب دعاءنا إلا الله, ولا أحد يحق لنا أن نسأله غير الله, وهذا هو رأس الأمر ورأس الدين, أن نُفرد الله في العبادة.

الدعاء هو جنة المؤمن..جنة يمشي بها في الدنيا.

الدعاء من نعم الله علينا, فنحن نستطيع أن ندعو الله في كل زمان وفي كل حال لا يمنعنا من الدعاء شيء, لأن الله لم يقيدنا بوقتٍ دون وقت, أو حال دون حال. صحيح أنه ثمة أوقات أحرى بالإجابة وردت فيها نصوص, ولكن هذا لا يعني أننا لا ندعو إلا في تلك الأوقات, بل لنا الصلاحية بأن ندعو في كل وقت.

قال ابن القيم – رحمه الله –:

فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الذل والانكسار, ودوام اللجأ إلى الله تعالى والافتقار إليه, ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها, ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده, وبره, وغناه وحمده. كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب (١/ ٧)

فاعلم أن الله إذا فتح لك باب الدعاء فقد أراد بك خيراً, إذا فتح لك باب الذل والانكسار بين يديه, ودوام اللجوء إليه والافتقار إليه, فقد أراد بك خيرا.

ومن العجب أن ترى أناساً يُبتَلون ويبلغ بهم البلاءُ مبلغَه, حتى يصلوا لحد اليأس; أو تبلغ به الحاجة مبلغها ومع ذلك يغفلون عن الدعاء..

وهذا والله لهو الحرمان!

حُرِم لذة الدعاء والتوسل والقرب والمناجاة.

الله عز وجل فتح لنا باب الدعاء على مصراعيه في جميع الأحوال .. بل بعث لنا الطمأنينة في القلب حتى وإن لم يستجب لنا الدعاء فما الذي يمنعنا من الدعاء؟!

ما الذي يجعلنا نطرق أبواب البشر والمحاولات والأسباب البشرية ونغفل عن باب الدعاء؟!نحن لا نقول بأن ندعو ونكتف الأيدي .. ولكن نجعل الدعاء أعظم باب وأول باب.

كان السلف يسترجع لو قطع شسع نعله، ويسأل الله العوض فيه لما في قلوبهم من الإيمان .. قلوبهم معلقة بالله .. فوضوا أمرهم لله وتوكلوا عليه تمام التوكل.

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ سورة الفاتحة -٥

فنحن نعبد الله عز وجل ونوحده ونفرده بالعبادة؛ لكن لا نقدر أن نعبده دون إعانة منه ..

وهذا هو الرابط بين ﴿ إياك نعبد﴾ و ﴿ إياك نستعين ﴾

لذا على المسلم أن يطلب من الله العون على عبادته، وحيث إن الدعاء عبادة فكذلك لولا عون الله لنا في الدعاء ما استطعنا أن ندعوه.

الله غني .. فلا تظنن أنك تسأله شيئاً لا يملكه عز وجل.

الله كريم ..فلا تظنن أنك تسأله شيئاً ولا يعطيك إياه بخلاً منه سبحانه عز وجل .

الله قدير .. فلا تظنن أنك يمكن أن تسأله شيئا وهو يعجز عنه أو خارج حدود قدرته سبحانه .

الله مجيب .. يجيب السائلين .. يجيب إجابةً عامة لجميع الداعين ، مهما كانوا ، وعلى أي حالٍ كانوا كما وعد الله في الوعد المطلق ..

وإجابة الله حسب ما تقتضيه حكمته.

وايضاً هو مجيب إجابةً خاصة للمستجيبين له، المنقادين لشرعه.

مجيب أيضاً للذين انقطع رجاؤهم من المخلوقين، وقوي تعلقهم به سبحانه وتعالى طمعاً، ورجاءً، وخوفا.

الله رحيمٌ قدير.. فلا تيأس مهما تكالبت الأمور حولك لتُيَئِّسك، أيقن في وعد الله عز وجل .. فالله عز وجل كريم غني قدير مجيب .. الله على كل شيءٍ قدير.. لا يعجزه شيء .. الله عز وجل رفع السماوات بغير عمد .. لا يعتريه عجز ولا فتور .. يقول للشيء كن فيكون فلن تُعجِزَه حاجة العبد الفقير الضعيف .

قال الله تعالى في الحديث القدسي الصحيح :

(يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ) صحيح مسلم(٢٥٧٧)

فكل الخليقة من الأولين والآخرين..من الجن والإنس اتحدوا في المكان..واشتركوا في الزمان..واختلفوا في المسألة..فلكلٍ منهم سؤله..ومع ذلك لو أعطاهم لم ينقص من ملكه شيء .

كمالُ قدرة وكمالُ مُلك..مُلكه وخزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء.

يقول ابن رجب: فيه حث العباد على سؤال الله وإنزال حوائجهم به سبحانه. جامع العلوم والحكم (٢/ ٦٧٣)

إذا تعددت حاجاتك لا تكتفِ بسؤال الله واحدة منها حياءً منه سبحانه..ولا تظن أن كثرة الحاجات تعجزه..لا تسأل القليل بل اطمح واطمع..فَيَدُ الله ملأى .. سحّاء الليل والنهار..وخزائنه لا تنفد.

استشعر دائماً بانه غنيٌ كريم قديرٌ مجيب..لا تستبعد أي أمر أو تستكثره فالله عز وجل مجيب لكنه يريد أن نتعبده بالدعاء.

الدعاء من النعيم للداعي .. ومن النعم التي أنعم الله بها علينا ، كلٌ يقول ما يشاء وما في داخله .. لا يريد منا لغةً محددة ، ولا تنميق كلام ولا ترتيبه بصورة معينة ..

وإنِ التزمنا بآداب الدعاء التي سنّها لنا النبي صلى الله عليه وسلم فهو عامل من عوامل الإجابة .

وإن دعونا بما ورد في الكتاب والسنة فحَسَن.

قال لقمان لابنه: يا بني عود لسانك على الاستغفار ، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً . تفسير ابن رجب (٢/ ٦٥٣)

فقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار في قوله:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ سورة محمد -١٩

إذاً الدعاء متعلق بالتوحيد ، فكل من علق قلبه بالله وحده نال ما يريد، وجميل أن نسأل الله عز وجل بما أعطانا من التوحيد ونتوسل إليه بذلك كما قال تعالى :

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ سورة آل عمران-١٩٣

فَسَألوا الله المغفرة متوسلين إليه بإيمانهم وتوحيدهم.

يروى بأنه لما توجه قتيبة بن مسلم للتُّرك، وهاله أمرهم ، سأل عن محمد بن واسع . فقيل : هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه – أي ملتمّ على قوسه – يحرك أصبعه نحو السماء . قال : تلك الأصبع أحب إلي من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير .

سير أعلام النبلاء(٦/ ٢٧٠)

إنها القوة الحقيقية .. فالظالم مهما طغى وتجبر وتكبر وظلم – يخشع ويخاف ويذل بمجرد لو رأى المظلوم رفع يديه إلى السماء ترتعد فرائصه وهو لا يعلم ماذا يقول خلف تلك الدعوات.

لأنه يعلم أن هناك رباً مجيباً وعد بإجابة خاصة للمظلومين.

إضاءات حول الدعاء :

اعلم بأن أسعد الناس هو من استشعر نعمة الله عليه بالدعاء..

فوالله عندما تستشعر أنك قد أنعم الله عليك بالدعاء تسعد وأنت تدعو حتى لو لم تُقضَ حاجتك..لأنك تشعر أن الله قريب وأنه امتن عليك بشيء حُرِم منه غيرك..

عظيم أن تسأل الله وأنت توقن بأنه يسمعك..فأسعد الناس من أيقن بالإجابة وهو يدعو لأنه يوقن بسمع الله له ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ سورة المجادلة-١

الدعاء هو العبادة كما جاء في الحديث عن النعمان بن بشير، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : (إن الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ نَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي .. ﴾ سورة غافر-٦٠ . صحيح الترمذي (٣٢٤٧)



الدعاء سلاح يُتقى به العدو ويُتقى به سوء القضاء ..

في الحديث (استعيذوا بالله من أربع .. استعيذوا من جَهْد البلاء ودَرَك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء) صحيح البخاري(٦٦١٦)

قال الشيخ ابن باز رحمه الله :

يستعيذ بالله من هذا؛ لئلا يبتلى بشيء يضره، بلاء يضره ..

درك الشقاء يدركه شيء يوقعه في الشقاء ، في المعاصي والشرك نسأل الله العافية ..

الإنسان يتحرى أسباب النجاة ويستعيذ بالله من جهد البلاء ومن درك الشقاء ومن شماتة الأعداء ومن سوء القضاء، هكذا المؤمن يتحرى ويسأل ربه العافية فإن الأعداء يشمتون به إذا وقع فيما يضره، ولكنه يتحرى العافية من (جهد البلاء) أو ما يسوؤه من البلايا والمحن التي تنزل بالناس.

ومن (درك الشقاء) : كونه يدركه شيء يشقيه ويوقعه في المعاصي والشرور أو في الشرك الأكبر نسأل الله العافية .

(وسوء القضاء) :كذلك كونه يقع في المعاصي وأن يبتلى بما حرم الله عليه .

(وشماتة الأعداء) :مثلما تقدم كونه يقع في شيء يشمت به الأعداء. فالمؤمن يتحرى العافية من هذه الأشياء، فيستعيذ بالله من جهد البلاء ومن درك الشقاء ومن سوء القضاء ومن شماتة الأعداء، يعني يحذر كل هذه الأسباب فلا يتعرض للبلاء الذي

يوقعه في المعاصي والشرور ولا يتعرض لأشياء تشمت به الأعداء، ولا يتعرض أيضاً لشيء مما حرم الله عليه فإن هذا يكون من سوء القضاء الذي ابتلي به، فإن الله يقضي الخير والشر جل وعلا، فالمعاصي بقدَر والطاعات بقدَر، يسأل ربه أن يقيه شر القضاء الذي فيه المعاصي والشرور والشركيات ونحو ذلك، نسأل الله العافية.

برنامج نور على الدرب على موقع الشيخ ابن باز رحمه الله.

الدعاء سبب لانشراح الصدر، فيه تفريج الهموم وتيسير الأمور، حتى لو لم تستجب الدعوة فالقلب يطمئن وينشرح ويأنس إذا سأل الله ودعاه لأنه أيقن بأنه الكريم الغني القدير الجواد المجيب.

فالدعاء وصدق اللجوء إلى الله..الدعاء واليقين بعظمة القادر..الدعاء والثقة بالإجابة.. الدعاء والرضا بالقضاء..الدعاء والاطمئنان بالخيرة الإلهية.

كلها تجعلك تصل إلى الاستقرار والراحة النفسية.. بل قد يصل بك الأمر إلى الفرح بالابتلاء..ليس بالابتلاء ذاته..بل لأن من قدّره عليك هو المدبر المتصرف الحكيم العليم ، ولما تجد من لذةِ ونعيمِ وأُنسِ الدعاء.

كما قال رسول الله ﷺ: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة) صحيح الترمذي (٢٣٩٩) .

فالله أراد لك هذا البلاء والاختبار لأنك أهلٌ لأجره إن صبرت ورضيت ودعوت وأيقنت.

الدعاء هو ذلك الطريق الذي يُشعِرك بالقرب من محبوبك.. شعور سكينة واطمئنان.

أرأيت شعور الطفل الصغير في حضن أمه الدافئ الحنون فماذا بعد ذلك كله إلا الشكر والحمد على المتفضل علينا بنعمه في كل وقتٍ وحين.

إنه الله عز وجل الجواد الذي يبعث رحمته ويبعث الطمأنينة والأنس والانشراح بعد الدعاء، فحتى لو لم يَزُلِ الهم والبلاء ولم تحصل على مرادك من الدعاء..فالقلب ينشرح ويطمئن.

أنت عندما تشتكي لأحد من الناس تشعر بالذل مع أنه يمكن أن يُعِرْك سمعه ويمكن أن لا..وممكن أن يُظهِرَ لك أنه قد سئم من كثرة إعادة الكلام لقضيتك التي لا تنتهي، وممكن أن يُظهِر لك أنه مشغول، وممكن أن تجد عنده الحل أو لا تجد، وممكن أن تجد عنده الإصغاء والحل ولكن لا تجد عنده الحل الصحيح.

أما مع الله تعالى فالأمر مختلف..تطمئن نفسك لدعائه وسؤاله..و الله تعالى يحب السائلين بل إن لم تسأله يغضب ..

الله يغضبُ إن تركتَ سؤاله.... وبُنَيَّ آدم حين يُسألُ يغضب.

وفوق ذلك تثق أن اختياره لك هو الخير بلا شك، فتطمئن وتهدأ نفسك .

الدعاء دليل على التوكل على الله عز وجل، فالإنسان عندما يسأل الله عز وجل فهذا دليل على عظم توكله على الله.

فقد يبتلى العبد ببلاء عظيم في نفسه أو ولده أو ماله أو ظروفه الاجتماعية.... ويرى – حسب المنظور البشري والمقاييس الطبيعية – أن الأمر ميؤوس من حله..ومع ذلك يلجأ إلى دعاء الله تعالى والتوسل إليه ثقة منه أن ما عند الله خير..وأن ما عند الله لا تنطبق عليه المقاييس البشرية..وأن ما عند الله لا يخضع للأمور الطبيعية .. وأن الله هو مدبر الأمر ومصرف الكون..وأن الله إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون..فيتجه للدعاء بقلب ممتلئ ثقةً في الله وتوكلًا عليه.

ها هو المريض المنطرح على فراشه جثة هامدة لعدة أشهر يثقِل كاهلَه وكاهلَ أهله الأطباءُ بمنظورهم البشري بتيئيسه من الشفاء .فلا يضعفُ بل يعلق قلبه بمن بيده أمر السموات والأرض.. بمن قال ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾سورة الشعراء – ٨٠..

بمن قال نبيه في الحديث الصحيح (ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له شفاء) صحيح البخاري (٥٦٧٨)..

بمن علّمنا أن حسن الظن فيه عبادة..

بمن علّمنا أن رجاء رحمته عبادة..

بمن علّمنا أنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون ..

بمن علّمنا أن لا كاشف للضر إلا هو..

بمن علّمنا أنه لولا أنه قدّر المرض عليه لم يُصِبْه..

بمن علّمنا أنه على كل شيء قدير لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

حينما تدعو الله عز وجل نفسُك تعلو وتسمو.. أنت تسأل العظيم الجواد الغني الكريم فما الذي يُضعِف النفس ويُفتِّرها ؟!

بل تكبر نفسك وتعلو همتك وتتشرف لمعالي الأمور وتتشرف للأكثر والأجمل..لأن الداعي يأوي الى ركنٍ شديد ينزل به حاجته يستعين به في كافة أموره.. يقطع الطمع مما في أيدي الخلق.

قال ابن تيمية رحمه الله: وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته، ورجاؤه لقضاء حاجته، ودفع ضرورته، قويت عبوديته، وحريته مما سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه . رسالة العبودية لابن تيمية (٨٦)

ثمرة الدعاء مضمونة بإذن الله، لكن إذا أتى الداعي بشروط الإجابة وامتنع عن موانعها سيحصل على الخير وينال نصيباً وافراً من ثمرات الدعاء ولا بد.

قال النبي – صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد الخدري –: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا . قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ؟، قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ) . صحيح الترغيب (١٦٣٣)

(الله أكثر) يعني أكثروا ومهما أكثرتم فالله أكثر، فخزائنه لا تنفد.

هذا الحديث فيه وعد بالإجابة – مع وجود الشرط ألا تكون الدعوة بإثم أو قطيعة رحم – على أحد الأوجه الثلاثة، وأن الداعي لن يُعدَم من دعائه خيراً، فإما أن يُعطَى عاجلًا، وإما أن تدخر دعوته لليوم الآخر، وإما أن يصرف اللهّ تعالى عنه من الشر والسوء، ما هو خير من تحقيق سؤاله، وكل ذلك بمقتضى حكمته تعالى بما يصلح للداعي.

فالعبد أحيانًا يظن أنه دعا ولم يستجب له، وهو لا يعلم أن الله صرف عنه بها سوءًا.

وهذا دليل على أن دعاء المسلم لا يُهمَل بل يعطى ما سأله..إما معجلاً وإما مؤجلاً.. تفضلاً منه عز وجل..فينبغي للمؤمن ألا يترك السؤال من ربه لأنه يكون بحالة

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾سورة البقرة -١٨٦

لم يقل عز وجل: وإذا سألك عبادي عني فقل لهم إني قريب ! كسائر السؤالات ..

مثل : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ سورة البقرة – ٢٢٠

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾سورة البقرة – ٢٢٢

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ سورة الإسراء – ٨٥

بل قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

فهي الآية الوحيدة التي أجاب الله عنها دون واسطة.

فهنا تولى الله الإجابة بنفسه، وحذف الواسطة إيماءً إلى قربه وسرعة إجابته دعاء عباده.

أنت أيها العبد عندما تدعو الله فأنت متعبد لله في الدعاء ، سلِّم وفوِّض أمرك لله عز وجل .. وإن لم يستجب دعوتك يعطيك سكينة وانشراحًا في الصدر، يسهل معه احتمال ثقل الواردات عليه.

أو يصرف عنك من السوء أو يدخر لك من الأجر مثلها، وعلى كل حال فلا يعدم فائدة دعائه ، وهو نوع من الاستجابة ..

ألم ترَ أناساً يسألون الله عز وجل سنوات عديدة ولا تستجاب دعواتهم ويظل البلاء والهم والقلق يعايشهم ، هل ذلك يعني أن الله لا يسمع دعاءهم !

أو أن الله لا يستجيب دعاءهم سبحانه !

كلا .. إن الله يستحي إذا رفع العبد يديه إليه أن يردهما صفراً خائبتين .

فإذا كان الله وعدنا بالإجابة بأي صورة – أدركنا تبريرات لما نرى من حال من يدعون الله ولا تستجاب دعواتهم مع خلوها من موانع الإجابة .. ليقيننا أن دعاء المؤمن لا يُهمَل ولا يُغفَل .

قال أحد السلف:

إني أدعو الله في حاجة.. فإذا أعطاني إياها .. فرحتُ مرةً ، و إذا لم يعطِني إياها فرحتُ مرات .. لأن الأولى " اختياري" .. والثانية " اختيار الله " علام الغيوب .

قال الشيخ ابن باز رحمه الله لما قيل له إن بعض الناس يدعو فإذا لم يستجب له ترك الدعاء .. فقال :

فإن في الحديث الصحيح أَنَّ رَسُول اللهَّ ﷺ قَالَ: (يُسْتجَابُ لأَحَدِكُم مَا لَم يعْجلْ: يقُولُ قَد دَعوتُ رَبِّي، فَلم يسْتَجبْ لِي) .

فيقول: دعوت ودعوت فلا أراه يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدَع الدعاء.

فلا ينبغي لك أن تستحسر، ولا ينبغي لك أن تدع الدعاء، الزم الدعاء وألحَّ على ربك، وتضرع إليه وحاسب نفسك . نور على الدرب من موقع الشيخ ابن باز رحمه الله

ثم اعلم أنه سبحانه حكيم عليم، قد يؤخر الإجابة لمدة طويلة لحكمة بالغة، كما أخر إجابة يعقوب في رد ابنه يوسف عليه السلام ، وهو نبي عليه الصلاة والسلام ..

فقد يؤخر الإجابة لحكمةٍ بالغة وقد يعطيك خيرًا مما سألت، وقد يصرف عنك من الشر أفضل مما سألت، كما جاء الحديث السابق عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ما من عبدٍ يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل دعوته في الدنيا، وإما أن تدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من الشر مثل ذلك. قالوا: يا رسول الله إذًا نكثر؟ قال: الله أكثر).

الدعاء سبب لرفع البلاء قبل نزوله وسبب لدفعه بعد نزوله.

عن ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يرد القدر إلا الدعاء) صحيح ابن ماجه (٧٣)

قال الشيخ ابن باز رحمه الله :

الحديث لا بأس به، ومعناه أن الدعاء من أسباب عدم وقوع المكروه، والله عز وجل قدّر الأقدار وجعل لها أسبابًا ، فهناك أقدار ماضية لا حيلة فيها كالموت والهرم ونحو ذلك، وهناك أقدار لها أسباب مرتبة معلقة عليها، فهذا معلق موته بالسفر إلى كذا، وهذا معلق موته بمرض كذا، وهذا معلق موته بأكل كذا، وهذا معلق موته بكذا وكذا، لها أسباب معلقة، وهذا معلق موته بأنه إذا دعا بكذا سلم من كذا، وإذا دعا بكذا سلم من كذا، فلهذا جاء في الحديث أنه لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وأن العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه، كل هذا به الأحاديث عن النبي ﷺ. فتاوى الجامع الكبير من موقع الشيخ ابن باز رحمه الله

قال الشيخ صالح الفوزان :

ومعناه أن الدعاء سبب في حصول الخير ، وأن هناك أشياء مقدرة ومربوطة بأسباب ، فإذا تحقق السبب وقع المقدر ، وإذا لم يتحقق السبب لم يقع ، فإذا دعا المسلم ربه

حصل له الخير ، وإذا لم يدْعُ وقع به الشر ، كما جعل الله صلة الرحم سببًا لطول العمر ، وقطيعة الرحم سببًا لضده والله أعلم . موقع الشيخ صالح الفوزان

قال الشوكاني رحمه الله : الله يدفع بالدعاء ما يكون قضاه على العبد وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة . تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني (٣٤)

هناك من يبتلى ببلاء عظيم في صحته أو ولده أو زوجه ، ويظل يدعو و يدعو لسنوات ولا تستجاب الدعوات ..

في منظورنا السطحي ، نظن أن الدعوة قد أُهمِلت !

والصحيح – كما أسلفنا – أن نعلم أن الله بحكمة بالغة قدّر أن لا تستجاب دعوته الآن .. أو أنه قدّر أن استجابتها تكون بصرف شر عنه .. أو أن الله علم أن حاله مع البلاء خيرٌ من حاله بدونه .. فالله وجد منه خيرًا .. وجد منه قربًا .. دعاءً .. تضرعًا ..استكانةً بين يديه .. وتفويضًا للأمر إليه .. وجد الله منه ذلك فاختار له هذا المسلك الذي هو خيرٌ من حاله قبل البلاء ..

وكم من أناسٍ – خصوصاً في ابتلاءات الأمراض – صارت حالهم مع الله بعد البلاء خيراً من حالهم قبل البلاء.

حتى هم أنفسهم – عندما يزول البلاء – يقولون والله كانت أجمل أحوالنا تلك التي كانت في البلاء .. ليس حباً في البلاء في ذاته .. ولكن لأنهم رأوا من حالهم مع البلاء الأطيب والأفضل .. وقلوبهم مع الله حال البلاء أرقى وأسمى ..وجدوها فترة تعبُّد وقرب من الله عز وجل .. قلوبهم صارت أكثر علوًا وروحانية .. اهتماماتهم غَدَت مختلفة .. المعاصي منبوذة مكروهة .. والطاعات محبوبة يسيرة .. صاروا مستجيبين لأمر الله .. كل هذا وغيره صار بعد البلاء .

وإذا رأى الله من حالك ذلك الخير أبقى عليك البلاء .. ثم قدّر لك الفرج في ساعة هو يعلمها وأنت لا تشعر .. في ساعة غير التي توقعتها أو تمنيتها .

عندما تسأل الله عز وجل أيقن في وعده وأيقن أن اختياره لك خيرٌ لك من اختيارك ، ولا تقنط من الإجابة .. بل أيقن أن انتظار الفرج عبادة واستشعر ذلك مهما طال زمنه .. لأن انتظار الفرج يدل على يقينك بصدق وعد الله باستجابة الدعاء .

ولك في الأنبياء سلوى .. فكم منهم من لم تستجب دعوته إلا بعد سنوات .. وما على الأرض أكرم على الله من الأنبياء .

حينما تدعو الله فأنت تلقي الهمّ عليه ليقينك بقربه و حكمته و قدرته .

إذًا الأمر متوقف على علم الله وحكمته فانشرِحْ بذلك صدرًا وطِبْ خاطرًا ..

عندما نقول إن الدعاء يدفع البلاء قبل نزوله فهو يرفعه بعد نزوله أيضا .. فمن فتح له الله باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل اللهُ شيئاً يعطى أحب إليه من أن يسأله العافية فعليكم بالدعاء.

إن الله لو قدّر وكتب على عبدٍ البلاء و نزل فالدعاء ينفع ويرفعه، ولو أن الله قدّر البلاء وكتبه على العبد ولم ينزل بعدُ فالدعاء يدفعه قبل نزوله أيضاً.

فالعبد ليس له علم ولا معرفة بالذي قدّره الله عليه ما لم يره .. فما أحوجنا للثقة بالله وأقداره واختياره

إذاً أيقِن أن دعواتك إما أن تدفع البلاء قبل نزوله أو ترفع البلاء بعد نزوله .. فإذا وجد العبد نشاطاً للدعاء والإقبال على الله فليستكثر من الدعاء وخاصة في مواسم إجابة الدعاء.

ولقد رأينا أناسًا كانوا على شفا جُرُفٍ هارٍ من البلاء والخطر والضرر ، ونجاهم الله تعالى منه بأعجوبة بسبب دعائهم أو دعاءٍ لهم وهم لم يشعروا أنه قد كُتب ودُفع .

ورأينا أناسًا وَلَجوا باب المخاطر والبلايا والآفات وأصابهم من لهيبها زمنًا ، وظن مَن حولهم أنهم لا محالة هالكون ولا نجاة لهم .. وألهمهم الله الدعاء أو ألهم من حولهم .. وبفضل الله نجوا وعادوا لحياتهم الأولى – التي كانت مستحيلة في تصورهم – وكأن شيئًا لم يكن ..

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة) حسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٣٩)

قال ابن رجب : ما دام العبد يُلحُّ في الدعاء، ويطمع في الإجابة من غير قطع الرجاء ، فهو قريب من الإجابة ، ومَن أدمن قرع الباب ، يُوشك أن يُفتح له. جامع العلوم والحكم (٣/ ١١٥٨)

كثرة الدعاء توشك أن يفتح له باب الفرج بإذن الله فلا تستبعد الإجابة ولا تستحِلْ أمراً على الله عز وجل .. ولكن حقِّق شروط الدعاء وآدابه وأوقات إجابته .. وتجنبْ موانعه .. وهذه الأمور هي مفاتيح إجابة الدعاء .

في قوله تعالى ﴿إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ هذه الآية في سورة البقرة جاءت في وجه يبدأ ب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة -١٨٣

فجاءت هذه الآية في طي آيات الصيام ، فكانت الآيات السابقة لها واللاحقة لها كلها عن الصيام .

قال ابن عاشور تعليقًا على هذه الآية : إشارة إلى أن دعوة الصائم ودعوة شهر رمضان هي دعوة حرية بالإجابة . التحرير والتنوير (٢/ ١٧٩)

تأمل معي في قوله ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

في هذه الآية دلالة على تناهي قربه عز وجل من عباده. كما أسلفنا .

وفي قوله : (عبادي) فيها ياء ولم يقل (عباد) .. وتأتي في القرآن أحيانا (عباد) وأحيانا (عبادي) .. والفرق بينهما أن (عبادي) تدل على الكثرة والغلبة والقوة ، بخلاف كلمة (عباد) تدل على القلة ..

فمثلًا في (فبشر عباد) فالفئة المبشَّرة قليلة .

أما هنا قال (عبادي) أي كلهم لو يسألونك فإني قريب .

من فضائل الدعاء حصول المودة بين المسلمين .. فإذا دعا المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب استجيبت دعوته .. وهذه الدعوة التي في ظهر الغيب تدل على موافقة الباطن للظاهر لأن الإنسان إذا أحبك لا تدري بحبه إلا ببعض الدلائل .. كأن يدعو لك بظهر الغيب .. فيقيناً أن باطنه يوافق ظاهره .. وهذا من التقوى والصدق والترابط بين المسلمين.

أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي، أسمِّيهم بأسمائهم . مصنف بن أبي شيبة (٢/ ١٩٩)

حين تقول صباحًا (اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر) .

كون الإنسان يحمد الله عز وجل على أن الله أصابه بنعمة أو أصاب غيره كذلك .. فهذا دلالة على نقاء قلبه وصفاء سريرته .

وما أجمل أن نعوِّد أنفسنا الدعاء لكل ميت حتى لو لم نعرفه .. (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) .

بعض الشباب الصالحين الأنقياء يُلزِمون أنفسهم بالصلاة في المساجد التي يكثر فيها الصلاة على الأموات كسبًا للأجر و رغبة في الدعاء لهؤلاء الأموات .. إنها قلوب نقية طاهرة .عندما تفرّغ وقتا من أجل الدعاء للمسلمين استشعر أن الله يقول عن

عباده الصالحين ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ سورة الحشر-١٠

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ودعاء الغائب للغائب أعظم إجابة من دعاء الحاضر لأنه أكمل إخلاصا وأبعد عن الشرك . مجموع الفتاوى (١/ ٣٢٨)

إذا سمعت عن أهل المعاصي وأخذتك الغيرة على محارم الله وثار بك الغضب عليهم وعلى معاصيهم احذر أن تعوجّ بك تلك الغيرة الحمقاء وتدعوَ عليهم أو تحقدَ عليهم أو تسيءَ إليهم بالحديث .. اعتبرهم من أهل بيتك وأقاربك .. ادعُ لهم واكره فيهم تلك المعصية ..

حتى صمتك يُعَدُّ خطأً في حقهم .. فلهم حق علينا – ونحن مسلمون – أن ندعوَ لهم بالهداية وأن يردَهم الله ردًا جميلا .

قد تكون هذه الدعوة منك سببًا في انقلاب حالهم وأنت لا تشعر عظم أثرها .

الدعاء من صفات المتقين .. الله عز وجل يقول عن أنبيائه : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وكَانُوا لَنَا خَاشعِين﴾ سورة الأنبياء –٩٠

الله عز وجل لما ذكر قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حال بنائهم للكعبة قال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ سورة البقرة –١٢٧

يقول ابن كثير رحمه الله : فهما في عمل صالح ، وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما . تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٧)

عن وهيب بن الورد : أنه قرأ : ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ سورة البقرة –١٢٧ ثم يبكي ويقول : يا خليل الرحمن ، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك . شرح الدعاء من الكتاب والسنة (١/ ١١٦)

وهذا كما حكى الله تعالى عن حال المؤمنين المخلصين في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ سورة المؤمنون– ٦٠ قال السعدي رحمه الله : يعطون من أنفسهم مما أمروا به ، ما آتوا من كل ما يقدرون عليه من صلاة وزكاة وحج وصدقة وغير ذلك ، ومع هذا ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أي : خائفة عند عرض أعمالها عليه والوقوف بين يديه .

وأيضا في دعاء سيدنا إبراهيم وابنه ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ سورة البقرة -١٢٨ يسألان الله أن يجعلهم مسلمَين له .. كيف وهما مسلمان ؟!

عن سلام بن أبي مطيع قال : كانا مسلمَين ولكنهما سألا الله الثبات . موسوعة أقوال الإمام أحمد في رجال الحديث وعلله (٢/ ٤٣٣)

الدعاء هو مفزع المظلومين وملجأ المستضعفين ، الله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَّ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ سورة إبراهيم – ٤٢

هذه الآية وعيد للظالم وتسلية للمظلوم ..

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ سورة التوبة – ٧٨

سهام الليل لا تخطي ولكن ..

لها أمد وللأمد انقضاء

اي والله .. لها أمد وللأمد انقضاء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ: أَكْرَمُ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إلَيْهِ.. مجموع الفتاوى (١/ ٣٩)

والله إنها لحقيقة .. تأمل معي في سورة الطلاق مع أنها عن الطلاق إلا أن فيها رسائل عظيمة تبعث الأمل مع أنه طلاق وانفصال .

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ سورة الطلاق ٢-٣

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرا﴾ سورة الطلاق - ٣

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ سورة الطلاق - ٤

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ سورة الطلاق - ٥

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ سورة الطلاق - ٧

﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ سورة الطلاق -١

وإني لأدعو الله والأمر ضيـــــق   عليّ فما ينفك أن يتفرجـــــــا

وكم من فتىً ضاقت عليه وجوهه   أصاب لها من دعوة الله مخرجا.

قال ابن القيم : قال بعض العارفين : إنه لتكون لي حاجةٌ إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح لي من مناجاته، ومعرفته، والتذلل له، والتملق بين يديه ما أحبُّ معه أن يُؤخِّر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال . مدارج السالكين (٢/ ٢٢٩)

تأمل .. تكون لي حاجة عند الله وأسأله إياها فيفتح لي الله عز وجل من المناجاة والمعرفة والتذلل والتملق بين يديه - وحاجتي لم تُقْضَ بعدُ – ولكن تضرعي بين يدي الله وقربي منه صار أحسن .. فأحب أن حاجتي يُأخر عني قضاؤها وتدوم لي تلك الحال !

فعلا للدعاء لذة لا يضاهيها لذة .. ولو لم يأتِنا من الدعاء إلا أنه عبادة لكفى .

وكم لله من لطـــــــــفٍ خفيٍ   يَدِقّ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِـيِّ

وَكَمْ يُسْرٍ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُــسْــر   فَفَرَّجَ كُرْبَةَ القَلْبِ الشَّجِيِّ

وكم أمرٍ تُساءُ به صبــــاحًا   وَتَـأْتِيْكَ المَـسَرَّةُ بالعَشِـيِّ

إذا ضاقت بك الأحوال يـومًا   فَثِقْ بالواحِدِ الفَرْدِ الـعَـلِيِّ

وَلاَ تَجْزَعْ إذا ما نـابَ خَـطْـبٌ   فكم للهِ من لُـطفٍ خـفـي

من شروط الدعاء وآدابه :

قال ابن القيم في مدارج السالكين : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : " إني لا أحمل هم الإجابة ولكني أحمل هم الدعاء فإذا أُلهِمتُ الدعاء علمت أن الإجابة معه " (٣/ ١٠٣)

فلا تتحقق الإجابة إلا بتحقق شروطها .. ومنها

- أن يكون الداعي عالما بأن الله وحده هو القادر على إجابة دعائه، لابد أن يكون عند الداعي هذا الشعور .. أن يكون موقنًا يقينًا تامًا أن الله وحده هو من يقدر على إجابة دعائه.

وكذلك قَوْله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَم أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِير﴾ سورة البقرة – ١٠٧

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ سورة النمل – ٦٢

﴿ وَمَا كَانَ اللهَّ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ سورة فاطر – ٤٤

لا بد أن يكون الداعي عالما بأن الله وحده هو القادر على استجابة دعائه .

لا بد أن يكون الداعي موقنا أنه لا مستشار ولا حبيب ولا معين ولا صديق ولا أحد يستطيع عونه بغير معونة الله .. فمن الممكن أن الله يسخر للإنسان أسبابًا بشرية ولكنهم بتسخير الله عز وجل .

وأيضا لا ييأس مهما كان طلبه صعبًا أو مستحيلًا .. فقد يكون مستحيلًا في متناول البشر ولكنه بأمر الله موجود .. وبأمر الله عز وجل سيكون.

نحن لسنا بحاجة بأن نثبت لأنفسنا صدق وعد الله عز وجل في استجابة الدعاء ولكن نحتاج إلى يقين ..

فما الذي يقوي لدينا هذا اليقين ؟

هو أن نعلم علم اليقين أن الله قادر .. وهو وحده القادر ..

لابد أن يكون عندنا اليقين أن الله – كما ذكرنا – غني كريم جواد قدير ..

والله لو استشعرنا هذه الأسماء الأربعة ما تركنا الدعاء ولا ضعفنا فيه .

وكما مر – من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له .

- أن يتوسل إلى الله بالتوسل المشروع :

١- بأسماء الله وصفاته ، أو صالح أعماله كما جاء في قصة أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة .

عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (انطَلَقَ ثَلاَثَةُ نَفرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ المْبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرةٌ مِنَ الجْبلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا

الله تعالى بصالح أَعْمَالِكُمْ قَالَ رجلٌ مِنهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لاَ أَغبِقُ قبْلهما أَهْلاً وَلا مالاً فنأى بِي طَلَبُ الشَّجرِ يَوْماً فَلمْ أُرِحْ عَلَيْهما حَتَّى نَامَا فَحَلبْت لَهُمَا غبُوقَهمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِميْنِ، فَكَرِهْت أَنْ أُوقظَهمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِى أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغوْنَ عِنْدَ قَدَمي فَاسْتَيْقظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة، فانْفَرَجَتْ شَيْئاً لا يَسْتَطيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ. قَالَ الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانتْ لِيَ ابْنَةُ عمٍّ كانتْ أَحبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وفي رواية :كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشد مَا يُحبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءِ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّى حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِى وَبَيْنَ نَفْسِهَا ففعَلَت، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، وفي رواية :فلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْليْهَا، قَالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فانْصَرفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِليَّ وَتركْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعلتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. وقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجرَاءَ وَأَعْطَيْتُهمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذي لَّه وَذَهبَ فثمَّرت أجْرَهُ حَتَّى كثرت منه الأموال فجاءني بَعدَ حِينٍ فَقالَ يَا عبدَ الله أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي،

فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى منْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَم وَالرَّقِيق فقالَ: يا عَبْدَ اللهَّ لا تَسْتهْزِيْ بِي، فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَهْزِيُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْه شَيْئاً، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فخرَجُوا يَمْشُونَ) متفق عليه .

قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعليقا على هذا الحديث :

فهذا الحديث العظيم الطويل في أخبار من قبلنا من الأمم يدل على عظم شأن النية والإخلاص لله، وأن الله جل وعلا يفرج بالأعمال الخالصة لله الكروبَ الكثيرة والأخطارَ العظيمة كما أنه سبحانه يدخل به الجنة وينجي به من النار ويضاعف به الحسنات. شرح رياض الصالحين من موقع الشيخ ابن باز رحمه الله.

٢- أو التوسل إلى الله بدعاء رجل صالح حي قادر :

فلما سئل الشيخ ابن باز رحمه الله عن حكم قول (لا تنسنا يا أخي من دعائك) قال :

ما فيه شيء، لكن تركه أحسن؛ لأنه قد يؤذي إخوانه بكثرة الطلب، ولكن إذا فعله بعض الأحيان لا بأس، النبي ﷺ ثبت عنه في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم قال :يَقْدُم عليكم رجل من اليمن يقال له أويس القرني، من مراد، كان بارًّا بأمه، وعلامته أنه كان به بَرَص فبرئ إلا موضع درهم فمن لقيه منكم فليطلب منه المغفرة، يعني فليطلب منه الاستغفار له.

ويُروى عنه ﷺ أنه لما توجّه عمر للعمرة قال :لا تنسنا يا أخي من دعائك، لكن في سنده بعض المقال اليسير. وحديث أويس في صحيح مسلم.

المقصود أن كون الإنسان يدعو لأخيه المسلم أو لإخوانه أو لجلسائه أو زملائه، كله طيب، والحمد لله، وهو من باب الإحسان، والله يقول : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة البقرة – ١٩٥ أهـ

ثم قال : دل ذلك على أن طلب الاستغفار والدعاء من الرجل الصالح لا بأس به، لعل الله يجيب دعوته، فإذا قلت يا أخي ادع الله لي بالمغفرة أو ادع الله لي أن يصلح قلبي أو يثبتني على الإيمان أو يمنحني العلم النافع أو يرزقني زوجة صالحة فلا بأس بذلك . فتاوى الدروس من موقع الشيخ ابن باز رحمه الله .

- تجنب الاستعجال

كيف يكون الاستعجال؟

النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزَالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَم يدعُ بِإثمٍ، أَوْ قَطِيعةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتعْجِلْ قِيلَ: يَا رسُولَ اللَّهِ مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: قَدْ دعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَم أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْد ذَلِك، ويَدَعُ الدُّعَاءَ). صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٠٥)

قال ابن حجر : يعني ينقطع.

وقد ضرب ابن القيم مثلًا عجيبًا لمن يدعو شهرًا أو سنة أو سنتين ولم تجب الدعوة فيملّ وينقطع ويستبطئ الإجابة فقال:

هو بمنزلة من بذر بذرًا أو غرس غرسًا، فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كمالَه وإدراكَه تركه وأهمله . الداء والدواء (١/ ١٥)

هذه حال من يدعو الله عز وجل ويستعجل في الدعاء ويمل ويتركه إذا لم تُستَجب دعوته.

كم مكث زكريا عليه السلام لاستجابة دعوته لما طلب الولد وقال ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾سورة الأنبياء-٨٩

وكم مكث يعقوب عليه السلام وهو فاقد لابنه يوسف عليه السلام ينتظره ويدعو ربه بعودته..ولكن اليقين الذي يحمله جعله يكرر عبارات منبثقة من ذلك اليقين:

﴿ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ سورة يوسف – ٩٤

﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة يوسف – ٨٦

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ سورة يوسف – ١٨

﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ سورة يوسف – ٨٣

﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾
سورة يوسف – ٨٧

إذن لنثق أنه ليس ثمة دعوات مهملة ، ولو لم تستجب فقد يكون الله أخّرها لموعد أجمل .. فالخير ربنا وحده يعلم أين محله وزمنه ..

فكم من الأمور ظننا أن الخير فيها وصارت علينا وبالًا .. وكم من الأزمنة ظنناها مناسبة لأمر معين وصار التقديم عنها أو التأخير هو الخير .. وكم من الأمور كرهناها فصارت خيرًا .

رُبَّ خيرٍ لم تنَلْه....كان شرًا لو أتاك

وفي قصة الخضر لما قتل الغلام عبرة ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا " سورة الكهف-٨٠ قال السعدي رحمه الله :

"وَأَمّا الْغُلَامُ " الذي قتلته " فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا"

وكان ذلك الغلام قد قُدِّر عليه أنه لو بلغ لأرهق أبويه طغيانًا وكفرٍا ، أي لحملهما على الطغيان والكفر ، إما لأجل محبتهما إياه ، أو للحاجة إليه أو يحدهما على ذلك ، أي : فقتلته ، لاطلاعي على ذلك ، سلامة لدين أبويه المؤمنين ، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة ؟ وهو وإن كان فيه إساءة غليهما ، وقطع لذريتهما ، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية ماهو خير منه . تفسير السعدي (٤٨٢)

- حسن الظن بالله عز وجل مع اليقين .

فاليقين بأن ندعو الله ونحن موقنون يقينًا تامًا بأن الله عز وجل يسمع دعاءنا وسيستجيب لنا بأي وجه .

في قوله عز وجل ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ سورة البقرة – ١٨٦

فالصياغة المعهودة في الشرط أن تأتي أداة الشرط ففعلُ الشرط ثم جوابه .

ولكن في تلك الآية أتى الجواب (أجيب) قبل الشرط ، لتأكيد حدوثه .

وكذلك أتى بأداة الشرط (إذا) ولم يأت ب (إنْ) لأن (إنْ) تأتي في الأمور المحتملة والمؤكدة كقوله تعالى : " قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ " سورة الزخرف–٨١

أما (إذا) فلا تأتي إلا في الأمر المؤكد الوقوع .

فادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، ولا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل .. فحسن الظن بالله هو الباعث على العمل .. فيلتزم العبدُ الدعاءَ ليقينه بالإجابة ، والتوبةَ ليقينه بالقبول ، والاستغفارَ ليقينه بالتوبة والمغفرة .. لأن قلبه ممتلئ بعظمة (أنا عند ظن عبدي بي).

السلف من شدة يقينهم وهم ذاهبون إلى صلاة الاستسقاء يغطون الزروع التي يخشون عليها من التلف استعدادًا للمطر ، ويذكر عنهم أيضا أنهم

كانوا يحفرون السواقي قبل الذهاب إلى صلاة الاستسقاء لحسن ظنهم بالله عز وجل وأنه كريم غني مجيب لمن دعاه .

- حضور القلب لأن عدم الإقبال على الله وقت الدعاء بمنزلة القوس .. فبقوة هذا القوس وضعفه تتحدد دقة مرماه ..

فينبغي للداعي أن يكون حاضر القلب متفهمًا للدعاء الذي يدعوه .. مستشعرًا عظمة من يدعو.. فلا يليق بالعبد الذليل أن يخاطب ربه بقلب لاهٍ ..

(من أصابه هم أو غم أو سقم أو شدة فقال الله ربي لا شريك كُشف ذلك عنه) السلسلة الصحيحة (٦/ ٥٩٢) .

قال المناوي : قال هذه الكلمة (الله ربي لا شريك له) من قالها بصدق عالمًا معناها عاملاً بمقتضاها فإنه إذا أخلص وتيقن أن الله ربه لا شريك له ، وأن الله يكشف كربه ، ووجه قصده إليه – لا يخيبه .. فإذا فر إلى ربه وسلّم أمره إليه وألقى نفسه بين يديه من غير شركة أحد من الخلق كشف ذلك عنه .. وأما من قال الدعاء بقلب غافل فهيهات هيهات أن تستجاب له.
فيض القدير (٦/ ٦٦)

قال بعض السلف : فهذا دواء نافع مزيل للداء ، ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته ، وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها .

- إطابة المأكل .. عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له) صحيح الترمذي (٢٩٨٩)

قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعليقًا على الحديث :

ثم ذكر الرسولُ الرجلَ – يعني: الرجل من الرجال، الإنسان من بني آدم – يُطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، أتى بأسباب دعوة المسافر، تُرجى إجابتها، والأشعث الأغبر الفقير المضطر تُرجى إجابته: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ سورة النمل:٦٢، يمد يديه من أسباب الإجابة: يا رب، يا رب، الإلحاح من أسباب الإجابة، كونه يُلحُّ في الدعاء، ومع هذه الأسباب لا تُقبل دعوته، لماذا؟ لأنه يأكل الحرامَ، ويلبس الحرام، ويتغذَّى بالحرام، فدلَّ ذلك على أن التمتع بالحرام من أسباب حرمان الإجابة، يعني: التَّغذي بالحرام في أكلٍ وشربٍ ولبسٍ وغير ذلك يكون من أسباب حرمان الإجابة.

فالواجب على المؤمن أن يتَّقي الله، وأن يُراقب الله، وأن يتحرى الحلالَ في أكله وشربه وسكنه ولبسه وغير ذلك، ولو تعاطى الأسباب الأخرى ما تنفع إذا لم يستقم على ما أحلَّ الله، وعلى ترك ما حرَّم الله عليه، فقد يُحرم الإجابة بهذا، وقد يضطر ويُجاب وإن كان كافرًا، لكن كونه يتعاطى هذه الأمور من أسباب الإجابة: كونه يتحرى الحلال، يُلح في الدعاء، يجتهد في الدعاء، يُخلص لله، هذا من أسباب الإجابة، وكونه يتعاطى الحرام من أسباب حرمان الإجابة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله العافية. شرح الأربعين النووية من موقع الشيخ ابن باز رحمه الله .

قال بعض السلف كما سبق : فهذا دواء نافع مزيل للداء ، ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته ، وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها .

- أن ندعوَه ونحن نتبرأ من حولنا وقوتنا إلى حول الله وقوته .. ألا نرى أننا في دعاء الاستخارة نربط الأمر بقولنا (اللَّهمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعِلْمِكَ وأستقدِرُكَ بقدرتِكَ وأسأَلُكَ مِن فضلِكَ العظيمِ فإنَّكَ تقدِرُ ولا أقدِرُ وتعلَمُ ولا أعلَمُ وأنتَ علَّامُ الغُيوبِ اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ خَيْرٌ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي -أوْ قالَ: في عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ شَرٌّ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ

أمْرِي -أوْ قالَ: في عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي واصْرِفْنِي عنْه، واقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي به، ويُسَمِّي حَاجَتَهُ) رواه البخاري (٧٣٩٠).

نَكِلُ الأمر إلى الله ونسأله الخيرة في كل أمر .. فقصور علمنا وشمول علمه عز وجل يجعلنا نربط ما نريد أن نسأله بعلمه عز وجل بخيريته .

- التوبة ورد المظالم .. فالإقرار بالذنب والاعتراف بالخطيئة أدب عظيم من آداب الدعاء ..

فلا بد أن يتوب الإنسان ويرد المظالم التي عليه قبل أن يدعو .

يقول ابن الجوزي رحمه الله ومن آدابه وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة : التوبة ورد المظالم لأهلها . مختصر منهاج القاصدين (٥٦)

فالمسلم بحاجة ماسة إلى الله عز وجل ، إلى عونه وتأييده ، إلى نصره ، إلى إجابته لدعواته ، وإلى رحمته .. فكيف يتجرأ أن يعصيه ويظلم خلقه وهو يسأله !

لِمَ لا نجعل دعاءنا وحاجتنا إلى الله عز وجل دافعة لنا إلى التوبة وترك المعاصي وظلم العباد ؟

أليس في سيد الاستغفار نقول :

(اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، أبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) صحيح البخاري (٦٣٠٦)

إذن بُؤتُ إلى الله بذنبي و أقررت له بذنبي واستغفرت ثم سألته عز وجل.

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِني كُنْتُ مِنَ الظالِمِينَ﴾ سورة الأنبياء – ٨٧ دعوة يونس عليه السلام إني كنت من الظالمين أقر وهو نبي أنه كان من الظالمين .

- تجنب الدعاء على النفس والمال والأهل والولد يقول رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح : (لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ) . أخرجه مسلم (٣٠٠٩)

كم من الأفراد عانوا البلاءات في أبنائهم أو أنفسهم أو ممتلكاتهم بسبب دعوة وقت غضب.

فلنروِّض أنفسنا ونتجنب الدعاء على أنفسنا وأبنائنا وهواتفنا ومركوباتنا وكل ما نملك حتى لا نذوق حسرتها كل أعمارنا.

ومن آداب الدعاء:

- الدعاء ثلاثا واستقبال القبلة ورفع اليدين في الدعاء :

جاء في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا دعا ثلاثًا ، وإذا سأل سأل ثلاثًا) رواه مسلم (١٧٩٤)

قال الشيخ ابن باز رحمه الله : الأصل أن استقبال القبلة أفضل عند الدعاء . موقع الشيخ ابن باز رحمه الله (فتاوى الدروس)

وقال أيضًا : رفع الأيدي في الدعاء من أسباب الإجابة في أي مكان ، يقول صلى الله عليه وسلم : (إن ربكم حيي ستير يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا) موقع الشيخ ابن باز رحمه الله (مجموع الفتاوى)

- الطهارة :

قال الشيخ ابن باز رحمه الله : حصول الدعاء مع الطهارة والصلاة أقرب إلى الإجابة . موقع الشيخ رحمه الله (مجموع الفتاوى)

- البكاء حال الدعاء . . وما أرق قول من قال :

قف بباب الملك سبحانه وقفة الخاشع الذليل ، من خضعت له رقبته ، ورغِم له أنفه ، وفاضت له عيناه ، وذلّ له قلبه ، ومن ليس له سوى باب سيده ومولاه ، فإن ردّه إلى باب من يلجأ ؟! وبحمى من يلوذ ويستجير ؟!

كن مثل الصبي ، إذا اشتهى على أبويه شهوة فلم يمكناه ، فقعد يبكي عليهما ، فكن أنت مثله ، فإذا سألت ربك ولم يعطكه ،فاقعد فابك عليه .
فإن تأخرت الإجابة فاقعد وابك بباب مولاك ، وقل بلسان حالك :
واقف يا سيدي ببابك ، ولائذ بجنابك ، ومؤمل عفوك ورضاك ونوالك ، فإن أبعدتني فمن يقربني ؟ وإن أقصيتني فمن يدنيني ؟ وإن خذلتني فمن ينصرني ؟ ليس لي رب غيرك ، ولا مولى سواك ، وأنا مستعيذ برضاك من سخطك ، وبعافيتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، وأنت أكرم من سئل ، وأجود من أعطى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

- أن يكون غرض الداعي جميلا حسنا كأن يتوسل الداعي إلى الله أنه إن أجاب دعوته يترتب على هذه الإجابة عمل صالح .. كما في دعاء موسى

عليه السلام ﴿ هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾ سورة طه ٣٠- ٣٥

- أظهر الشكوى إلى الله والافتقار إليه ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾سورة الأنبياء – ٨٣

- اخفض صوتك وأسِرَّ بالدعاء ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾سورة الأعراف – ٥٥

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية :

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إن الذي تدعونه سميع قريب)

وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله " تضرعًا وخفية " قال : السر .

وقال ابن جرير : " تضرعًا " أي تذللًا واستكانة لطاعته .

و " وخفية " : بخشوع قلوبكم ، وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه ، لا جهارًا ولا مراءاة .

وقال عبدالله بن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : إن كان الرجل لقد جمع القرآن ، وما يشعر به الناس .. وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ، وما يشعر به الناس .. وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به .. ولقد أدركنا أقوامًا ماكان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر ، فيكون علانية أبدًا .. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يسمع لهم صوت ، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا رضي فعله فقال : ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ سورة مريم– ٣٠

وقال ابن جريج : يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ، ويؤمر بالتضرع والاستكانة . تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٨)

ومما قال ابن القيم :

وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

أحدها :أنه أعظم إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله تعالى يسمع دعاءه الخفي.

ثانيها :أنه أعظم في الأدب والتعظيم.

ثالثها :أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولُبُّه ومقصوده.

رابعها :أنه أبلغ في الإخلاص.

خامسها :أنه أبلغ في جمعيَّة القلب على الله تعالى في الدعاء، فإن رفع الصوت يُفرِّقه.

سادسها :وهو من النكت السرية البديعة جدًّا: أنه دالٌّ على قرب صاحبه من الله... فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد.

سابعها :أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال؛ فإن اللسان لا يملُّ والجوارح لا تتعب.

ثامنها :أن إخفاء الدعاء أبعد من القواطع والمُشوِّشات والمُضعِفات؛ فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدرِ به أحد... وإذا جهر به تفطَّنت له الأرواح الشريرة والخبيثة من الجن والإنس، فشوشت عليه ولا بد ومانَعَتْه وعارضته.

تاسعها :أعظم النعم الإقبال على الله والتعبد له والانقطاع إليه والتبتُّل إليه، ولكل نعمة حاسد على قدرها دقَّت أو جلَّت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة... وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد.

عاشرها :أن الدعاء هو ذكر للمدعوِّ سبحانه... فهو ذكر وزيادة... وقد قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ

الْقَوْلِ﴾ سورة الأعراف- ٢٠٥، فأمر نبيه أن يذكره في نفسه. التفسير القيم (٢٥٤) بتصرف

- أن يحرص على أوقات الإجابة وأحوال الإجابة كوقت الفطر للصائم ، بين الأذان والإقامة ، عند المطر، الثلث الأخير من الليل .

قرأت لأحدهم :

إن الإسلام يُقرِّر أن من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق؛ ولكن وراءه حكمة تُهوِّن مشقته، وتسيغ مرارته، وتحقق به خيرًا مخبوءًا قد لا يراه النظر الإنساني القصير.. فمن يدري فلعل وراء المكروه خيرًا. ووراء المحبوب شرًا.

إن العليم بالغايات البعيدة، المُطَّلع على العواقب المستورة، هو الذي يعلم وحده حيث لا يعلم الناس شيئًا من الحقيقة. وعندما تنسم تلك النسمة الرخية على النفس البشرية تهون المشقة، وتتفتح منافذ الرجاء، ويستروح القلب في الهاجرة، ويجنح إلى الطاعة والأداء في يقين وفي رضاء.

وكل إنسان -في تجاربه الخاصة- يستطيع حين يتأمَّل أن يجد في حياته مكروهات كثيرة كان من ورائها الخير العميم. ولذات كثيرة كان من ورائها الشرّ العظيم. وكم من مطلوب كاد الإنسان يذهب نفسه حسرات على فوته؛ ثم تبيَّن له بعد فترة أنه كان إنقاذًا من الله أن فوت عليه هذا المطلوب في حينه. وكم من محنة تجرَّعها الإنسان لاهثًا

يكاد يتقطع لفظاعتها. ثم ينظر بعد فترة فإذا هي تنشئ له في حياته من الخير ما لم ينشئه الرخاء الطويل.

إن الإنسان لا يعلم، والله وحده يعلم .. فماذا على الإنسان لو يستسلم؟ " أ.هـ

عسى أن يكون الخير كامنًا في الشر: ﴿ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ سورة النساء-١٩

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم عن أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَّمَهُ دُعَاءً وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَاهَدَ بِهِ أَهْلَهُ كُلَّ يَوْمٍ قَالَ: (قُلْ كُلَّ يَوْمٍ حِينَ تُصْبِحُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَمِنْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إِلَى ضَيْعَةٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ وَإِنِّي لاَ أَثِقُ إِلاَّ بِرَحْمَتِكَ فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمِ) رواه أحمد، وصحّحه الألباني .

مواقف واقعية مع الدعاء من بلدان شتى حكاها أصحابها لي مباشرة فنقلتها بتغيير يسير في السرد أو الأسلوب :

الموقف الأول :

أصبتُ بسرطان الثدي من النوع الشديد .. فقال الأطباء أن نوعه هذا ليس له علاج مناعي .. ليس له إلا الاستئصال .. فكنت أرقي نفسي باستمرار بالقرآن كاملًا .. وأكرر الآيات التي تلامس قلبي .. وكنت أدعو الله باستمرار وأكرر دعوة (اللهم قلت وقولك الحق : " ورحمتي وسعت كل شيء " وأنا شيء فارحمني برحمتك التي وسعت كل شيء) وأُكثِرُ من الحوقلة والذكر والتوسل لله والتضرع إليه ..

وإذا انتابني الضعف ووسوسة الشيطان اتجهت للمحاضرات أسمعها لتقويني .. وأستخير كثيرا لعملية الاستئصال ..

حتى إذا ما جاء موعد العملية لا أدري ما هو شعور اليقين الذي انتابني بشفائي .. فكنت أطلب من الطبيبة إعادة عمل الأشعة للتحقق قبل الاستئصال .. ولكنها أصرت على العملية ليقينها أنه من النوع الشديد ولا يمكن الاستغناء عن العملية فأعرضتْ عن طلبي ..وأتمتْ أمر العملية واستأصلته ..

حينها اكتشفوا أن الثدي ليس فيه أي خلية سرطانية !!

لم أتألم لا ستئصاله ولله الحمد لأني على يقين أن الله أتم هذا الأمر لحكمة .. بل سجدت لله شكرًا أن استجاب دعائي .. وفرحتي باستجابة الله دعائي أنستني مرارة الاستئصال .

وبعد مدة من الزمن قالوا إن السرطان انتقل للعظام .. فكنت أكرر (يا قوي يا عزيز يا من لا غالب لك) ..

ثم أجروا أشعة أخرى نتيجتها سلامة العظام منه !

ولما بلغنا رمضان قالوا انتقل إلى الرحم !

فكنت حينها أدعو كثيرًا وخصوصًا في ليالي الأوتار .. فلا يفتر لساني عن الذكر والدعاء بما يطرأ على لساني .. فكنت أكرر (يا رب أعلمنا نبيك أن الدعاء يدفع البلاء يا رب أكثر ما أعرفه أنك على كل شيء قدير) .

ولما حان موعد الأشعة بشروني بخلو الرحم من المرض !

فسجدت في المستشفى شكرًا لله .. وأدركت أن ربي كريم وعطاياه جزلة .

ورغم أن الثدي مستأصل ، وعندي تشوه خلقي ، ولست جميلة ، وتقدم بي العمر فضعفتْ أو كادت أن تنعدم لدي فرص الزواج...إلا أن لدي يقينًا أن الله سيرزقني الزوج الصالح .. وسأسطر لكم حكايتي حينها لأثبت للجميع أنه لا حائل دون أمر

الله .. ولا معجز أمام قدرة الله .. وسأظل أتسلح بالصبر واليقين على ما قدّره الله لي بحكمته .



الموقف الثاني :

تزوجت منذ سبع سنين وحملت ورزقت بابني (س) .

شاء الله أن يصبح ابني من ذوي الهمم (لديه إعاقة شاملة .. تأخر بالنمو التطوري الشامل)

راجعنا المستشفيات وبدأنا رحلة العلاج بمراكز متخصصة و لكن التحسن بطيء جداً جداً ولا يكاد يذكر .. والمشاكل تزداد بيني وبين زوجي وضغوط الأهل ..

وعندما أصبح عمره سنتين حملت بأخته (ض) .

وكان لدي إحساس غريب تجاهها ..شكوك حول حركاتها ..

ولما بلغتْ من العمر ستة أشهر ذهبت بها لطبيبة مختصة بالطب التطوري ، فقالت لي ابنتك متأخرة جدًا عن عمرها وتحتاج علاجًا .. فعلمت حينها أنها نفس حالة أخيها (س) .

والحمد لله من قبل ومن بعد الذي ألهمني القوة والثبات والصبر ..

بكيت طريق العودة للمنزل وضقتُ كيف سأخبر أهلي عن ابنتي ..ولكن تمالكت نفسي وأخبرتهم وانهاروا بالبكاء وصرت أنا أهدئهم وأخبرهم أنه قضاء الله ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ..فلا تبكوا بل ادعوا لهم بالشفاء ..

مررنا بصعوبات عدة من مواقف الناس وكلامهم بالمجالس (أبناؤك معاقون .. .. متى يتكلمون .. لماذا يلبسون نظارة .. ولماذا لعابها يسيل ...)

كانت هذه الأسئلة تحزنني في بداية الأمر ولكن الآن لا أهتم لها إطلاقاً لأني كنت أفوض أمري لله وحده وأعلم أن الله إذا أحب عبداً ابتلاه .. وحفظت مقولة قرأتها تقول :

وليعلم المُبْتلى أنه لم يُبْتلَ لهوانه على الله ، بل لمعزته !

ودائماً كنت أخبر نفسي أن الله لطيف بعباده و أن الله إذا أراد أمراً أن يقول له – سبحانه – كن فيكون .

كنت أدعو وأدعو بيقين تام ليس به شك أن يشفيهم ربي ويمدهم بالصحة والعافية و يبارك لنا فيهم وأحمده أن رزقناهم ..

والحمد لله كانت تأتيني رؤى بشائر خير ..

كنت أرى في المنام أن (س) يمشي ، و(ض) كذلك .

وشاء الله جل جلاله أن تكون بشائر الخير في رمضان العام الفائت حيث مشى ابني (س) من غير مقدمات فكانت الدهشة على وجوهنا ولهجات الحمد والثناء وزغاريد الفرح تملأ المكان .

شعوري لا يوصف في تلك اللحظة لم أصدق عيني .

عمره خمس سنوات عندما خطى أول خطواته !

وشاء الله جل جلاله أيضاً أن تكون بشائر الخير مرة أخرى في رمضان هذا العام ، حيث مشت ابنتي (ض) أولى خطواتها وسط التكبير والتهليل والحمد لله ..ولها من العمر ٤ سنوات ..

الحمد لله من قبل ومن بعد هذا كله بفضل الله تعالى .. وربي اذا أعطى أجزل سبحانه ..وعوض الله جميل حين يأتي بوقت مفاجئ .

الموقف الثالث:

في عام ١٤١١ كان ابني في الصف السادس ، وأول ما بدأت التوعية عن المخدرات أصيب بوسواس من المخدرات لدرجة أنه طلب مني إبعاد جميع الأدوية خوفا من أن يوسوس له الشيطان بأكلها ويصبح مدمنًا ..

تطور الأمر إلى الوسوسة في الصلاة والعبادة ، وكل يوم يأتي إلي والدموع تملأ عينيه ، قال لي الشيطان افعل كذا وكذا ..

مع محاولاتي الفاشلة للإقناع استمرت المعاناة معه خمس سنوات وأنا وهو في جهاد .. وتطورت الحالة في يوم وهو في الصف الأول الثانوي ، حيث قال لي : أمي ! الشيطان يقول لي أنت لن تشفى وأتعبت أهلك فارم بنفسك من النافذة !

هنا طار عقلي .. فأرشدتني قريبة لي تعلم بحاله أن أذهب به إلى راقية لترقيَه .. فلما عزمتُ على الذهاب به ، اتصلتْ بي وقالت إن الراقية ستسألك عن اسم أمك وأمور أخرى فلا تقلقي !.. حينها أيقنتُ بعدم سلامة معتقدها فمزقتُ الورقة التي تحوي الرقم وتوضأت وكانت الساعة ١١ ليلا وصليت كثيرًا ودعوت ربي (اللهم إني تركتها لوجهك وابتغاء مرضاتك فعوضني خيرًا) .

ولما حان الصباح ذهبت لعملي وأنا في ضيق لا يعلمه إلا الله خوفا على ابني .. و مر ذلك اليوم كأطول ما يكون .. ولما عدت للبيت قابلني ابني فرحًا مهرولًا إلي ويقول : أمي ! ذهب الوسواس عني !

قلت : كيف ؟!

قال : جاء مدرس وألقى علينا محاضرة فشعرت أن الوسواس ذهب .. وكأني أصحو للحياة!

فيارب لك الحمد حمدا تطيب معه الحياة .

ومن يومها عادت حياتنا طبيعة بفضل الله ومنته .

وابني الآن أصبح مهندسًا معماريًا ، وقد تزوج ولديه أطفال والحمد لله .

الموقف الرابع :

لقد هداني الله بفضله ومنه وكرمه في سن مبكرة فارتديت النقاب وأنا في الرابعة عشر من عمري .. وذلك لم يكن معتادا في محيطي ..

ومنذ أن بلغت العشرين وأنا أدعو الله دعاءً شديدا وأكثر من الإلحاح عليه سبحانه بأن يرزقني الزوج الطيب الصالح المصلح..

ولكن قدّر الله أن أبلغ الثلاثين ولم أتزوج بعد ، بل إنه لم يتقدم لخطبتي سوى واحد أو اثنين!

ومع دعائي وإلحاحي كنت لا أرى في محيطي رجلا يتمتع بالمواصفات التي أتمناها أيضًا .. كنت أشعر بأني لا أتمتع بالمواصفات التي تتمتع بها الأخريات ..

وكنت أسمع أحيانا من البعض كلامًا سيئًا بأن النقاب من أسباب تأخري في الزواج لكن ذلك لم يؤثر في نفسي ولم يُضعِفها .

كنت حين أدعو الله أقول له يا رب حتى إن لم يكن الزوج الذي أتمناه موجودا حولي إلا أنني أعلم بأنك قادر على إيجاده ..و كنت أخبر ربي في السجود عن كل المواصفات التي أتمناها ..

والله في داخلي ومحيطي والأسباب التي بين يدي لا يوجد شيء من بينها يجعلني أشعر بأني سأتزوج .. لكني كنت أستند على قدرة الله .. فكنت أقول يارب أنا لا أرى وأنت ترى .. ولا أعلم وأنت تعلم .. ولا أقدر ولكنك تقدر.

وحين بلغت الثالثة والثلاثين من عمري تقدم لي شخص فيه من جميل المواصفات الكثير.. وكان بين عقد قراني و زفافي شهر واحد فقط .. سارت الأمور بسرعة عجيبة بفضل الله .

والآن عمر زواجي ستة أعوام ونصف .. أقول .. استجاب الله لدعواتي و رزقني زوجا فاقت مواصفاته كل المواصفات الجميلة التي طلبتها من ربي وتمنيتها .. بل أعطاني سبحانه فوق ما تمنيت .. خير زوج وحبيب وصديق فاللهم لك الحمد .

لم أرزق بالذرية حتى الآن ومررت بمشاق وصعوبات وآلام كبيرة .. ولكني كلما رأيت زوجي أقول من رزقني به سيرزقني منه بالذرية الطيبة التي أتمناها ..

الموقف الخامس :

تقول : أعيش مع زوجي وأمه وأبيه في بيت واحد ..

وكان والد زوجي يعمل في التجارة ولديه مال كثير ، وكان يضع أمواله في بيتنا..

وفي يوم من الأيام احتاج ماله فجاء ليأخذه ، تفقد المال في مكانه فلم يجده ..

سأل زوجته :

أين المال؟

فأنكرتْ زوجته رؤيته أو معرفة مكانه .

ناداني وسألني :

أين المال ؟

فأنكرتُ رؤيته أو معرفة مكانه ..

هنا جُن جنونه واتهمني بسرقة المال !

فظللت أبكي من هول التهمة !

قرروا أن يبحثوا عنه في غرفتي !

وبالفعل بحثوا ولم يجدوا شيئا ..

فقلت وأنا أبكي ودموعي لم تجف :

أنا لم أسرق المال ولكن أفوض أمري إلى الله..

فبحثوا في البيت كله ماعدا غرفة والدة زوجي ليقينهم بسلامتها من تهمة السرقة !

فاعترضتُ عليهم في عدم تفتيش تلك الغرفة .. ولكنهم نفوا بقوة وجود المال فيها ليقينهم ببراءتها .. فألحيتُ عليهم أن يفتشوها كما فتشوا غرفتي !

فبحثوا فيها فلم يجدوا فيها المال !

فقلت : بقيت حقيبة فوق الخزانة لم تفتشوها !

فقالت والدة زوجي: تلك بعيدة ولا يوجد فيها شيء !

فأيدها والد زوجي مستبعدًا وصول المال لتلك الحقيبة ..

فألحيتُ عليهم أن يفتشوها ، لكنهم رفضوا ذلك مستبعدين .

كنت فوق السلم حتى أسحب الحقيبة ودمعي على خدي لم يجف عندما منعوني من تنزيلها..

فدعوت الله بحرقة زلزلت كياني .. أحسست أن جسمي يرتعش من ظلمهم لي وأنا نازلة من السلم دعوت الله بصوت مسموع أن تأتي ضربة فوق رأس السارق !

فسبحان الله ..

والله لم أصل للأرض من على السلم حتى سقطتْ تلك الحقيبة ضاربة رأس أم زوجي فانفتحتْ ووجدوا فيها المال !!

فنزلتُ من على السلم منتصرة باستجابة الله لدعائي ونصر الله لي على من ظلمني ..

وكُشفت الحقيقة في ساعتها وتبين أن والدة زوجي هي من سرقت المال ..

فنالت عقوبة من زوجها لم تنسَها في حياتها ..

فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب .

تعليق :

قال الشيخ ابن باز رحمه الله :

الأفضل أن لا يدعو على الظالم بل يسأل الله له الهداية وأن يرده إلى الصواب وأن يعطيه حقه، فإن دعا عليه فلا حرج على قدر مظلمته، وإذا رأى أنه أصيب بما دعا به فهذه علامة أنها أجيبت دعوته، إذا دعا عليه أن الله جل وعلا يصيبه في كذا في ولده في ماله في سيارته يتبين له إذا وقعت حادثة حوادث، لكن ننصحه في مثل هذا أن لا

يدعو على الظالم، بل يدعو الله له الهداية ويسأل ربه أن الله يعوضه عما ظلمه، وأن الله يهدي الظالم حتى يعطيه حقه؛ لأن الدعاء عليه نوع انتصار، نوع من الانتصار، نوع من القصاص، فالأفضل ألا يدعو عليه ولكن يدعو له بالهداية وأن الله يرده إلى الصواب وأن الله يهديه حتى يرد إليه حقه.

الموقف السادس :

مرض ابني فجأة واشتدت حالته والطب يجهل تشخيصه .. فظللنا من تحليل إلى فحص إلى أشعة إلى دراسة ...ولم يعرفوا حالته .. واستمرينا نتناوب على رقيته كل يوم بما يتيسر لنا .. ونقرأ البقرة نرجو بركتها .

واستمر حاله شهورًا .. وفي عشر ذي الحجة تفاقمت حالته وساء وضعه وفقدَ وعيَه ولم يحرك من جسده عضوًا ، بل لا يشعر بنا .. فحزنت لذلك كثيرًا وعزمت على الذهاب لمكة أدعو له أرجو بركة المكان .. فرفض زوجي لأننا كنا في أيام الحج وزحمة الناس في مكة .. فطلبته بإلحاح أن أذهب في يوم التاسع من ذي الحجة والحجاج في عرفة ، والحرم فارغ ..

وفعلًا توجهت لمكة ووصلتها فجر عرفة وظللت بالحرم طوال اليوم لا أخرج إلا لدورة المياه – أكرمكم الله – فأشغلت وقتي كله بالصلاة والدعاء والتضرع بين يدي الله وبث الشكوى إليه حتى الليل ..

ثم عدت لمدينتي .. وذهبت لزيارته من الغد فجئته وكلي يقين بعافيته .. فوضعت يدي في يده وجلست أقرأ عليه وأخاطبه :

حبيبي أنا أمك .. هل تشعر بي ؟!

فقال أبوه : كيف تريدينه أن يرد عليك وهو فاقد للوعي ؟!

فالتفت لابني وقلت : حبيبي أرِهم أنك تشعر بي ..

فحرك إصبعه ثم ضغط على يدي فبكيت بكاءً شديدًا من شدة الفرح وحمدت الله تعالى أن رأف بحالي وقبِل تضرعي واستجاب دعائي .

ومع أنه لازال مريضًا .. ولا زال كثير من أعضائه متعطلًا إلا أنني أحمد الله تعالى على نعمة استقرار صحته ووجوده عندي في البيت .

أسأل الله تعالى له الشفاء والفرج ولجميع مرضى المسلمين .

الموقف السابع :

سكنَا بيتنا الجديد وكلنا أمل أن نهنأ فيه ..

عشنا حياة يتخللها الفرح تارة ، والكدر تارة أخرى .

زارنا المرض بعد عام من السكن فتمكن من جسد والدي وأرهقه .. فلم يهنأ في البيت أبدًا وبدأت رحلته مع المرض ..

تهالك جسده وتعب أكثر وأكثر ..

خُطبتُ خلال هذه الفترة وتقرر موعد زواجي

وتم عقد القران الذي فسخ في ليلة العرس !

توفي والدي بعدها بفترة وجيزة

وعشنا حياتنا بحلوها ومُرِّها صابرين على ابتلاء الله لنا راضين محتسبين ..

تزوجت أختي – بعد بلوغها سنًا كبيرة – بعد اجتهاد في الدعاء وتضرع لله تعالى ..لم تهنأ في حياتها معه بل عانت معه كثيرًا .. معاناة نفسية ومشاكل ، مع آثار جسدية صحية تتبعها .. ولم ترزق بذرية ..

لجأتْ إلى الله تعالى بالدعاء ليل نهار .. وكنا نلازم الدعاء أن يكشف ما بها من ضر .

واستمرت على الرقية الشرعية .. حتى تطلقت من زوجها وهي حامدة لله صابرة محتسبة .. ولم تفارق الدعاء أبدًا ..

استمرت معاناتها الصحية لست سنين وهي مستمرة على الدعاء والرقية ..

خلال هذه الفترة مرِض أخي فجأة وتوفي رحمه الله..

استمرينا على الدعاء والرقية والصدقات مع التضرع بين يدي الله تعالى .. وأختي تتعب أكثر لكنها لم تستسلم ولم تعجز..

حتى انكشف لنا أنه سحر معقود لأهل البيت كلهم وتم فكه وإبطاله بالقرآن .. وأيقنّا أن الله قد حفظنا مما هو أشد ، ودفَعَه عنا بالدعاء .

والآن بحمد الله وبفضله علينا تيسرت أمور حياتنا .. ونلهج بالحمد والشكر لله أن حفظ علينا ديننا وثبتنا عليه .. وأنه تقبل دعاءنا وفرج كروبنا .

الموقف الثامن:

أصيب ابني (ن) فجأة بمرض في عينه .. وتفاقم الأمر حتى أثر على كثير من أجهزته وجوارحه .. والفحوصات تتوالى لمعرفة الحالة وفتحوا رأسه مرتين ولكن لم يعرف الأطباء له تشخيصًا .. وذات يوم أعلمنا الأطباء أنه ورم في الرأس ! وأنه يحتاج إلى العلاج بالكيماوي !

حزنّا لذلك ودعونا الله وكثفنا الدعاء وتواصينا به من جميع أفراد الأسرة (والداه وإخوته وأخواته) وتوسلنا لله جميعا تلك الليلة بالدعاء والاستخارة ..

فلم نبِتْ تلك الليلة .. وكلما التفتُّ إلى والده وجدته ساجدا يدعو ويبكي ..

ولما تعب غفا غفوة قبل الفجر ثم قام يصلي الفجر.. ولما عاد من صلاة الفجر قال لي : رأيت رؤيا في تلك الغفوة أن رجلا يرتدي لباسًا أبيض أقبل علي مبتهجًا مبشّرًا وأشار إلي بيده ويردد : كُفيتَ .. كُفيتَ !

ولما حان الصباح ذهب للمستشفى ليقابل الطبيب ويعطيه قراره النهائي عن الشروع في العلاج الكيماوي .

يقول : فكنت أسير في ممرات المستشفى وأنا مهموم وعيني في الأرض .. إذا بعيني ترى أقدام شخص مقبل علي .. فرفعت رأسي قليلًا وإذا به على نفس هيئة ولباس الرجل الذي أتاني في المنام تمامًا !

فقال لي : أنت والد (ن) ؟

قلت : نعم .

قال : تفضل معي لعيادتي .

دخلت معه وأنا كلي عجب من توافق صورته مع الرؤيا !

فقال : أنا الطبيب فلان أحد المتابعين لحالة ابنك (ن) .. لقد تأملت فحوصاته وتابعت حالته وتبين لي خلاف ما يراه بقية الأطباء !

أرى أن مشكلته تكمن في التهاب في خلايا الرأس وليس ورمًا !

وعلاجها يكون بعلاج مضاد للالتهاب بدون الكيماوي !

فكبرتُ وهللتُ وسجدتُ لله شكرا أمامه وبكيتُ وأخبرتُه بالرؤيا !

فدهش لذلك جدا !

ومع أن ابني مازال إلى الآن مريضًا وله أربع سنوات في مرحلة المرض .. وكثير من جوارحه لا تعمل إلا أني فرحت باستجابة الله لدعائنا واختياره لنا فيما نجهله .

أسأل الله أن يشفيه ويقر عيني بعافيته وجميع مرضى المسلمين .

الموقف التاسع :

عشت حياة جميلة وأيامًا ماتعة مع زوجي الذي يحبني ويدللني .. وكان كل من حولي يغبطنني على هذه الحياة وهذا الحب والدلال .. وكان نساء من أهل زوجي قد ملأ قلوبَهن الحسدُ تجاهي مما يرون من حياتي ..

وفجأة ! انقلبت حياتي وتغير تعامل زوجي معي وصار يعاملني بسوء وتقصير وجفاء وغلظة وعدم احترام ..

فكانت نقلة كبيرة جدا من الحال السابق لما صرت عليه ..

وكانت فرصة للائي يحسدنني .. فرصة سعيدة لهن .. شَفَتْ غلّهن .. فأثر عليهن في تعاملهن معي بالهمز واللمز وعدم الاحترام .

حادثته في سوء تعامله ولم أرَ استجابة .. فصبرت وتحملت من أجل أبنائي .. وجعلت سلاحي هو الدعاء ..

كنا في رمضان فكثفت الدعاء .. ولم يتغير شيء .. ولم يثنِني عدمُ تغيره عن الدعاء لما وجدت فيه من أُنس وقرب من الله .. واستمريت حتى جاء يوم عرفة .. ففتح الله لي من باب الدعاء أكثر ودعوته بما لم أكن أدعوه من قبل .. وتضرعت إليه واستكنت بين يديه .. ووالله إني من شدة اليقين لأشعر أن أبواب السماء مفتوحة لدعائي .

فمنّ الله علي بفتوحات متوالية .. بيت جديد .. والتحقت بحلقة للقرآن الكريم .. وجاءني عرض لوظيفة لم أكن أسعى لها بل ولا أحلم في مرتبها ..

ومع أن زوجي لم يعد كسابق عهده تمامًا إلا أنني وجدت من الأنس واللذة في القرب من الله بالدعاء – ما أنساني مُتَعَ الحياة وهوّن علي فقْدها ..

الموقف العاشر :

كنت أسكن شقة .. وكان في العمارة معنا عدة عوائل .. وكلنا أسر فقيرة .. وكانت تكلفة الماء والكهرباء مشتركة بيننا .. ولما صدرت فاتورة الماء لم يستطع أحد منا سدادها فتراكمت شهرا على شهر إلى سنوات .. حتى وصلت مبلغًا كبيرًا يقارب نصف قيمة بيت .

وبعد تلك السنوات تفرقت كل العوائل .. فمنهم من توفي ومنهم من باع شقته وخرج ولم يبق سوى أسرتنا ..

فكانت الفاتورة على ظهورنا ..

ولكن كيف ونحن بالكاد نجد لقمة العيش ؟!

فضاقت بنا الدنيا بما رحبت .. فلجأنا إلى من بيده كشف الضر وتفريج الكرب وزوال الهم وتيسير العسير .. وتوجهت إلى الله بالدعاء والتضرع .. ولما جاء يوم عرفة كثفت دعائي وألقيت حاجتي بين يدي الله وبكيت وتضرعت ..

ولما انتهى العيد قرر زوجي أن يذهب إليهم لمحاولة السداد ولو بالقليل .. فسأل الموظفَ عن قيمة الفاتورة ..

فأخبره الموظف بمبلغ زهيد بعيد جدًا عن الواقع !

فتعجب زوجي وسأله كيف ! لا يمكن !

أنا أجزم أن الفاتورة أضعاف أضعاف ذلك المبلغ .

فقال الموظف : الأجهزة أصابها عطل هذه الأيام فلم نستطع استعادة المعلومات السابقة .. ولم نجد عليك سوى هذا المبلغ !

فكانت فرحة ليس لها مثيل وأيقنّا أنه لا يعجزه شيْ .. وسجدنا شكرًا لله ..

فسبحان من بيده تدبير الأمور !

الموقف الحادي عشر :

الحمد لله رُزقت بابنتي (ر) ضعيفة السمع واضطررنا لإلباسها سماعة الأذن من السنة الثالثة من عمرها .. ووجدتُ مع والدها صعوبة بالغة في تعليمها النطق والحروف .. والحمد لله على قضائه ، استمرت سبع سنوات لا تفصِح عن كلمة واحدة ..

فمرت علينا سنوات ..

فكنت كثيراً ما أدعو (يارحمن ، يارحمن ، يارحمن ،يامن علم القران ، وخلق الإنسان ، أفصِح لسان ابنتي (ر)

والحمد لله الآن تخرجت من الثانوي و هي تتكلم بفصاحة وتسعى لختم القران الكريم حفظاً خلال الشهر القادم فلله الحمد والمنة من قبل ومن بعد ...

فسبحانه من رب كريم يجيب دعوة الداعِ إذا دعاه..

الموقف الثاني عشر:

أنجبت أول مولود لي وكان كثير البكاء .. ليلًا ونهارًا ..أعيا الأطباءَ حالُه .. فكانوا يوحون لي بصعوبة الحالة وعجزهم عن تشخيصها وعلاجها .. برسائل تبث فيّ اليأس من شفائه بل وسلامته .. ولكني كنت كلما عدتُ منهم عدتُ بروح أكثر أملًا وتفاؤلًا وثقة فيما عند رب العالمين ..و يقين أنه لا شافي إلا هو .. وأنه لا تعجزه الأمراض ..

فكنت أدعو الله تعالى باستمرار وطموح عالٍ تجاوز طموح شفائه إلى صلاحه وتميزه وتفوقه وبلوغه مرتبة الأطباء ..

ومضت السنون وكبر الطفل وشفي حتى غدا شابًا يافعًا سليمًا معافى ..

بل وصار طبيبًا ونال مرتبة ومركزًا عاليًا في مهنته يعرفه القاصي والداني ..

فاللهم اجعله لي قرة عين ..

ختاما ..

اعلم عبدالله أن لك ربًا يسألك الدعاء ويعدك بالإجابة .. ربًا لا يعجزه شيء .. ربًا غنيًا كريمًا قديرًا ..

لا تدعن حاجة لك في نفسك تعتصر دون سؤاله ..

لا تحصرن حاجاتك في أمور الدنيا وتغفل عن حاجات الآخرة فأنت لها أحوج ..

لا تيأسن من الإجابة مهما أبطأت فلك رب حكيم عليم ..

لا تدعن الدعاء إن استبطأت الإجابة فللإجابة حين يقدره الحكيم العليم اللطيف الرحيم.

لا تيأسن مهما طال بك البلاء .. فقد يختبر إيمانك بطول زمانه .. وتذكر أن لك ربًا يثيبك عليه ويرفع به درجاتك ..

ومهما طال الليل بظلامه فلا بد يومًا أن يتسلل الصباح بنوره فتبتهجَ نفسك وينشرحَ خاطرك وتسعدَ روحك ..

أسأل الله لك دعوات مستجابة .. ونفسًا طيبة .. وروحًا منشرحة .. وبسمة مرتسمة .. وقبل ذلك ربًا راضيًا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ..

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

الفهرس